تشكّل فيلق أو «تومين» (10000 جندي). ولم يعدّل جنكيز خان في هذا النظام ولكنّه طوّر فعّاليّته، فكان يقسّم أو يجمع جنود القبائل التابعة للإمبراطوريّة في وحدات يتراوح عددها بين ألف وعشرة آلاف ليتمكّن من استدعائها بسرعة عند اللزوم. ولكنّه حافظ على البناء العشائريّ لهذه المجموعات عبر تعيين رجال من هذه العشائر يثق بهم لقيادة الوحدات التي تضم عشائرهم، ليرسي بذلك أساسات هيكل عسكريّ بدائيّ. ويُساعد هؤلاء القادة قادة آخرون من الأكفّاء، من أيّ عرق أو طبقة اجتماعيّة كانوا، ليحصّنوا قيادة الوحدات والجيوش من قلّة الكفاءة، التي قد تنتج عن الالتزام بالقرابة والعشائريّة. فجنكيز خان اتّبع نموذج ترقية الجنود تبعاً للكفاءة مما حافظ على فعّالية جيشه. حتّى أنّه كان قد ولّى قائده المفضّل سابوتاي القيادة الفعلية لجيش غرب الامبراطوريّة الذي كان قد أولى قيادته الرسميّة إلى ابنه جوشي ومن بعده إلى حفيده باتو. والالتزام كان عنصراً أساسيّاً في نجاح الجيش المغوليّ برأي ديزموند. فالجندي المغوليّ كان يلتزم بالتعليمات الصادرة عن قادته بحذافيرها من دون أن يحيد قيد أنملة عنها. فبالرغم من الشكل البدائي للهيكل العسكريّ إلّا أن جنكيز خان أرسى نظام محاسبة وعقاب قاسياً ارتبط بمركزيّة سلطة الخان، وكان يُطبّق على قادة الجيوش من العائلات الحاكمة كما على الجنود العاديين. وكان الالتزام والطاعة للخان والإيمان بمركزيّة قراره قد وصلت إلى مراحل استثنائيّة، فقد كان الجميع يلتزم بتطبيق عقاب الخان على يد رسوله، حتى وإن كان الرسول من أوضع طبقات المغول والقائد من العائلات الحاكمة. هذان العاملان ساهما في إعطاء جيوش جنكيز خان الأفضليّة على باقي جيوش السهوب الآسيويّة، ومن بعدها على الجيوش المؤلّفة من العنصر التركيّ في العالم الإسلاميّ وجيوش أوروبا. ولكنّ هذين العاملين لم يكونا الوحيدين في صناعة هذه الآلة العسكريّة شديدة الفعّالية وتحقيق نجاحاتها.

> أصعب معارك خاضها جنكيز خان كانت معارك توحيد منغوليا ومنغوليا الخارجيّة

صناعة صاروخ باليستيّ: الحصان والإمداد من الأمام

وشكّل الحصان المنغوليّ عاملاً آخر شديد الأهمّية. فهذا الحصان، وبالرغم من صغر حجمه، كان قادراً على قطع مسافة مئة كيلومتر في اليوم الواحد، كما يقول ديزموند. ويحتاج إلى شرب الماء مرّة واحدة في النهار فقط، بينما يمكنه أن يكتفي بالاقتيات على عشب السهوب. وقدرة الاحتمال هذه جعلت الحصان المنغولي من أهمّ ادوات الآلة العسكريّة المغوليّة، حيث وصفه رُسّابي بـ«صاروخ القرن الثالث عشر الباليستيّ». وقدّ فعّل جنكيز خان استعمال الحصان المنغوليّ أكثر من خلال فرض تأمين ثلاثة أحصنة على الأقل لكلّ مقاتل في جيشه، فيتمكّن الخيّال من السير لمسافات ولمدد أطول بكثير، لأن لديه حصانين يسيران من دون حمل وزن في كلّ الأوقات، مما يبقي كل خيوله الثلاثة بمستوى نشاط مناسب للسفر لمسافات طويلة. ويضرب ديزموند مثلا مسير جنكيز خان بجيشه، خلال حملة احتلال سلطنة خوارزم، من باميان إلى غازني عبر كابُل بيومين اثنين فقط، علماً أن المسافة التي قطعها تبلغ 210 كم، في واحدة من أكثر سلاسل الجبال وعورة في العالم. وهذه السرعات في تنقّل الجيوش تُعتبر إعجازيّة حتّى في عصرنا هذا.

وعامل آخر ساهم في سرعة انتقال الجيوش المغوليّة كان الإمدادات اللوجيستيّة. فبينما الجيوش تعمل على نقل إمداداتها عبر خطوط خلفيّة يجب أن تُؤمّن، كان الجيش المغوليّ يتطلّع إلى الإمداد من الأراضي التي سيصل إليها. ويشرح ديزموند أن الجيش المغولي لم يكن ينقل معه المؤن، فالجندي المغوليّ كان بإمكانه أن يمضي عشرة أيام دون أن يأكل طعاماً مطبوخاً، فقد كان بإمكانه أن يعتمد على زوّادة شخصية فيها أربعة كلغ من الحليب الرائب المجفّف وليترين من مشروب حليب مخمّر وكميّة من اللّحم المقدّد، وإذا ما نفدت الكميّة قبل الوصول إلى مصدر غذاء جديد كان يقيت نفسه عبر إحداث شقّ صغير في رقبة حصانه ليشرب من دمه. وعند الوصول إلى منطقة هدف الحملة العسكريّة يعمل الجنود على تمشيطها للتموّن. أمّا الحصان فكما ذكرنا سابقا هو شديد التحمّل ويقتات من أعشاب الأرض، فلا حاجة لتحمّل نقل غذاء له، بينما يكفيه القليل من الماء. وهذا سهّل تنقّل الجيش من دون الحاجة لتأمين الخطوط الخلفيّة أو السير على سرعة البغال أو الثيران، التي عادة ما كانت تُستعمل لنقل الإمدادات. وهذا ما خلق جيشاً سريعاً يباغت الأعداء وله قدرة مناورة استثنائيّة في المعركة وخلال نصب الكمائن خارج أرض المعركة.

كيف وقفت الآلة؟

في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ميلاديّ شكّلت الجيوش المغوليّة، وبالرغم من النزاعات الداخليّة في الإمبراطوريّة بين أحفاد جنكيز خان، الآلة العسكريّة الأمضى، التي أرعبت العالم من أقاصي شرق آسيا إلى غرب أوروبا . بعدما عبّر جوشي خان عن الرغبة في الوصول إلى البحر النهائي (أي المحيط الأطلسي) ومن بعده ابنه باتو خان كان قد حاول ذلك فعلاً حتّى أنّه حاصر فيينا . ليكون الخان الأعظم خان كل ما بين المحيطات حقّاً. ولكن هذه الآلة توقّفت فجأة عن التوسّع ولم تحتلّ العالم كلّه، ويعود الفضل بهذا لمعركتين أساسيتين سنأتي على ذكرهما في مقالات قادمة، وهما معركتا «عين جالوت» و«خليج هاكاتا».

* باحث لبناني

أنشأ جنكيز خان نظام محاسبة قاسياً، كان يُطبّق على قادة الجيوش كما على الجنود

كذا إرهابيون...) في مصلحة حاقدين جدد وجولة حقد وانتقام مقبلة تظل تعتمل تحت الرماد والسطوح الرائقة! وقبل أن نتهم أخوتنا الفلسطينيين والأكراد وبعض العرب بعدم الوفاء وعض الأيدي التي ساندتهم والتنكر لأفضال سوريا على العرب والإقليم، يجب علينا التوقف طويلاً عند ما فعلته أيدينا بهذا الوطن المشرف، وكم خرج من بين ظهرانينا مناضلون مستأجرون ونخب مخترقة قابلون للتبعية والاستعمار ومثقفون خونة ومرتزقة سوريون (!) مستعدون لرهن بلدنا لأي محرر غريب قادم (!) قاموا بتقديم أرواق اعتماد لكل العالم الحر والمستعمر ولعق أحذية الصهاينة ذاتهم ليعودوا في قوافلهم يجرجرون قاطراته ويطربون لسنابك خيله ولجوقاته الرهيبة. عندما نحول بلدنا لنهب مستباح وملك داشر، يجب ألا نلوم من يهجم عليه لأخذ حصته بقصد الدفاع عنها أو لتحقيق مصلحته الخاصة، ويجب أن نتوقف عن وصف الناس بالخونة وكل يوم يخرج من بيننا من هو مستعد أن يتحالف مع الشياطين الزرق من أجل أوهامه وأحلامه حتى لو هدَّ المعبد على رؤوس الجميع. نحن أنفسنا ـ يا قراءنا الأعزاء ـ من كسرنا باب قلعتنا وعلينا أن نحتمل كل ما تأتي به العاصفة!

لذا يجب علينا المراجعة بهدوء وصمت، لأن واقعنا بالفعل مؤلم جداً ولأن المطلوب كثير جداً من التفكير والتبصر والندم والعمل الحثيث. لن يفيد السوريون بعد اليوم ذلك الكلام الهاذر غير المجدي والذي يربي الأحقاد والكراهية ويعزز شعور الانتقام والفرقة. لنهدأ قليلا ولنتكلم بالعقل والمنطق بعيداً عن العواطف الجياشة والرؤوس المحمومة والغرائز الملتهبة، وبعيداً عن إلقاء التهم الجاهزة على الغير وتبرئة ساحاتنا من الخطأ والزلل البسيط وتقديس ذواتنا المتضخمة أو غاياتنا المتخيلة أو النوم المريح في شعاراتنا الكبيرة. يجب علينا أن نتوقف عن قذف الآخرين بالخيانة أو الانتهازية السياسية والأخلاقية ـ وإن كانت فيهم ـ يجب أن نفضل الصمت والعمل على أخطاء الذات ومثالبها والنظر في كيفية تصحيحها وإعادة تقويمها من جديد، وقبل أن نرمي إخوتنا الآخرين بخلاصات قهرنا وصدمتنا من طريقتهم المكشوفة في طعن الوطن والإساءة إليه التي تشبه الخديعة المستعادة المعروفة كالدرس المكرر.

اليوم تبدو سوريا وحلفاؤها في محورها المقاوم وفي قطبها العالمي الصاعد كمن يملك كل الخيارات. وهم يخوضون معاركهم المصيرية كمن يجاري أعداء سوريا في سباقات المسافات الطويلة والمارثون، وعلى السوريين وهم يجرون في هذا السباق الطويل من النضال والكفاح في وجه الغطرسة والتسلط العولمي الجديد أن يدركوا أن الكلف البشرية والمادية التي دفعت لهذا الاستحقاق باهظة غالية، وأن التفكير بالانسحاب والانكفاء وسوريا ما زالت في جولاتها الأخيرة يعد خيانة غير مشروعة، وأن على السوريين التحلي بالصبر والمثابرة والمجالدة وعدم التحول لأرانب سباق محبطة يائسة؛ تحملوا كل المصاعب وبذلوا كل الجهد وعندما يقتربون من خط النهاية ينسحبون، ويبكون على اللبن المسكوب والوطن المضيع والفردوس المفتقد!

* كاتب سوري

توضيح وليس رداً على أحمد راسم النفيس

علاء اللامي *

بالإشارة إلى ما كتبه السيد أحمد راسم النفيس في العدد 3257 في 22 آب 2017، أود توضيح الآتي:

ـ إن مقالتي موضوع الرد هي مقدمة أو جزء واحد من دراسة طويلة قسّمتها إلى خمسة مقالات، وقد تنشر في جزأين أو أكثر قريباً في «الأخبار» ومجلة «الآداب». الدراسة تناقش وتحاول تفنيد مجموعة اتهامات موجهة إلى صلاح الدين الأيوبي ويكررها الإعلام المذهبي الطائفي في العراق وغيره، كالتنازل عن معظم فلسطين في «صلح الرملة» لمصلحة الفرنجة الصليبيين والتعامل الخياني لمصلحتهم خلال الحرب، وإحراق مكتبة القاهرة الفاطمية، والإبادة والمجازر بحق الشيعة الفاطميين في مصر والشيعة غير الفاطميين في بلاد الشام وممارسة العزل الجنسي ضد الأسرة الفاطمية والمسؤولية عن بدء الاستيطان اليهودي في فلسطين يوم لم تكن فلسطين كياناً «جغراسياسياً» قائماً آنذاك، بل كانت جزءاً من بلاد الشام... إلخ.

ـ لم يردّ الكاتب على الأمثلة التي ذكرتها في المقالة للهجاء المذهبي الموجه إلى صلاح الدين الأيوبي ويناقشها بروية أو حتى من دون روية، ومنها مساواة الأيوبي بحكام مستبدين معاصرين واتهامه بتنفيذ مؤامرة طائفية سرية مع الخليفة العباسي وحاكم دمشق نور الدين محمود الزنكي.

ـ الكاتب يعتبر الانحياز القيمي المعلن إلى صلاح الدين يعني بالضرورة (نهجاً انفعالياً لا موضوعياً) من دون أن يكلف نفسه عناء قراءة النص وينقده كنص، وليس كنيّات وقيم شخصية لكاتبه، وهذا ناتج من خلط الكاتب بين النص التاريخي المنجز والمستقل كنص وكاتبه كذات منحازة؛ بمعنى: لتكن يسارياً أو يمينياً، مؤيداً أو معادياً لإسرائيل، ولكن ما يهمّ الناقد والقارئ هو نصك الذي أنجزته وقدمته. لنوضح الأمر بهذا السؤال: هل يمنعني انحيازي إلى شعب فلسطين اليوم من تقديم نص موضوعي حول الحركة الصهيونية ودولتها العدوانية العنصرية، أم أن ما يقرر قيمة النص الفعلية هو النص المكتوب نفسه بما يحمله من مضامين وأدلة وحجج وبراهين؟

ـ كان مؤسفاً ورود بعض التقييمات التي تنطوي على نزوع عنصري مرفوض إنسانياً في رد الكاتب لأنها تكرر اتهامات عنصرية وذاتية سلبية وحاطّة من كرامة الإنسان كـ«سوء أخلاق وطباع العبيد» لأنهم عبيد، في معرض كلام الكاتب عن حكام مصر والشام من المماليك، وخصوصاً في قوله (حكم العبيد المماليك المجلوبين من شتى بقاع الأرض ومعهم آفاتهم الأخلاقية والذين وصفهم المقريزي في «الخطط» بأنهم «أزنى من قردة وألص من ذئب وأفسد من فأر»). فهل يدخل هذا التمييز والازدراء العنصري المقيت ضمن الكتابة التاريخية والدفاع عن الدولة الفاطمية التي لها ما لها من منجزات حضارية كبيرة وعليها ما عليها من سيئات الدول والممالك الاستبدادية القديمة، الإسلامية وغير الإسلامية، والتي سادت ثم بادت؟

* كاتب عراقي